المحاضرة رقم ٠٤

نظرية الوضعية المحدثة

١-مفهوم النظرية الوضعية المحدثة:

تعد الوضعية المحدثة من أهم النظريات السوسيولوجية الكبرى في تاريخ الفكري الغربي ،فقد أحدثت قطيعة أبستمولوجيا مع التصورات الاسطورية والميتافيزيقية تبنى التجريب العلمي منهجا في تحصيل الحقائق ،وخاصة في مجال علم الاجتماع الذي أصبح علما مستقلا مع "إميل دوركايم" ،ومن هنا تنبني الوضعية المحدثة على الاختبارات الحسية ،والتفكير المادي والموضوعية العليمة والحياد في البحث والتجريب، والتخلص من اللاهوت و التفكير الميتافيزيقي والمنفعة والواقعية[١].

٢-مرتكزات النظرية الوضعية المحدثة:

ترتكز على مجموعة من المقومات التنظيرية والمنهجية كالانطلاق من الاحساس وحده باعتباره مصدرا للمعرفة الاجتماعية والاعتماد على النموذج الطبيعي على أساس أنه سلطة مرجعية للعلوم الإنسانية واخضاع الظواهر الاجتماعية للفحص والتجريب والاختبار والقول بشيئية الظواهر الاجتماعية[٢]

٣-التصورات الفكرية للنظرية الوضعية المحدثة:

يتصور الوضعين الجدد على وجه العموم أن مناهج العلم الطبيعي التي حققت نجاحات ملموسة تعد مناسبة لدراسة الظاهرة الاجتماعية وهو ما حاول أوغست كونت أن يبرهن عليه، على أن الوضعية الجديدة كما هو نتائج في كثير من الكتابات السوسيولوجية أنها تعتمد على عناصر وهي:

---

[١]محمد محمد أمزيان: منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي فيرجينيا، و.م.أ، طبعة ١٩٩١،١، ص٥٧

[٢]المرجع نفسه، ص ٧٦

٣-١-**التكميم**: ويقصد به التعبير الكمي عن ابعاد الظاهرة الاجتماعية متغيراتها وعملياتها، ومصاحبتها وذلك باستخدام القياس والعد، واستخدام الأساليب الاحصائية والنماذج الرياضية.

٣-٢-**السلوكية:** ويقصد بها الاهتمام بدراسة مدخلات ومخرجات السلوك الواضحة والظاهرة والقابلة للملاحظة فبعض الأبعاد والعمليات الأخرى تستعصي على الدراسة كاللاشعور الذي لا يمكن اخضاعه للملاحظة على سبيل المثال.

٣-٣-**الحسية:** ويقصد بها التركيز بل السعي نحو المعرفة المعتمدة على الإدراك الحسي، وحقائق الأشياء تتوقف على امكانية حدوثها جزئيا أو كليا من خلال عدد من الانطباعات الحسية.

واذا أمكن للباحثين اقامة نظام على اساس هذه الانطباعات تيسر لهم سن القوانين ذلك لأن جوهر القانون لا يعني ضرورة واقعية ،وإنما هو وبالأساس تصور إنساني دخل بطريقة غير منطقية في عالم المدركات.

٣-٤-**النفعية:** مع أن بداية الفكر السوسيولوجي الوضعي الجديد في القرن التاسع عشر أرادت أن تمثل توازنا مضاد للنفعية الفردية، إلا أن هدفه من هذا لم يكن تدميرها والقضاء عليها بل محاولة استكمالها[٣]، وفي هذا السياق حاول بارسونز أن يوضح هذا البعد بإشارته إلى أن النفعية ذاتها تعد محاولة وضعية لتطوير نظرية الفعل وقصد بذلك بنظرية الفعل أية نظرية يكون الإطار المرجعي الإمبريقي لها هو النسق الملموس.

٤-أهم رواد النظرية الوضعية المحدثة:

٤-١-**فرانسيس ستيوارت تشابين**: يصنف على أنه وضعي محدث معتدل كونه استعان بالاتجاه التجريبي الذي يتميز بدقة المنهج التجريبي والفكرة الأساسية التي يرتكز عليها هذا المنهج كما ورد في مؤلفه التصميمات التجريبية في البحوث السوسيولوجية تدور حول منطق التجربة المعملية لقد وافق تشابين الوضعية المحدثة في تأكيدها على التعريفات الاجرائية في العلوم الاجتماعية بالرغم من أنه اتخذ موقفا معتدلا منها ،كما أشار في كتاباته بأن ما يسمى

[٣] يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، طبعة ٢، مصر،١٩٧٩، ص٣١٧

بالتعريف الاجرائي لا يعد حلا نهائيا بل هو مجرد تطور نحو تحقيق المزيد من الموضوعية[٤]، وعموما فإن علماء الاجتماع الرياضيين وغيرهم يميلون إلى الاهتمام بالاتجاه الوضعي المحدث الذي يسعى إلى تأكيد أن العلم وحده هو الذي يملك الحقيقة.

٤-٢-**جلنر**: يشير إلى أن الوضعية المحدثة أو ثقافة العبث والإنسانية تلمح إلى قول يقضي بأن العالم هو دائما على نحو ما يتراءى لنا وبصرف النظر عما إذا كانت رؤيانا حقيقية أو زائفة طالما ليس لدينا فكر حاذق يساهم في بلورة الرؤيا وتصحيح مسارها[٥].

٤-٣-**جون لويس**: نجد جون لويس يعبر عن عبثه الوضعية المحدثة بإشارته إلى أن كونراد لورنز الذي يعد حجية في صيد الأسماك والإوز أخذ يطبق مشاهدته لسلوك هذه الحيوانات على الإنسان وسلوكه، وهذا يعني مبالغة هذه الاتجاه في تبسيط الملاحظات وآنيتها وعزلتها عن سياقها المجتمعي الموضعي وسياقها التاريخي[٦]

٥-تقييم النظرية الوضعية المحدثة:

- في إطار البحث العلمي، طورت النظرية طرق البحث وأدواته.
- درست المجتمعات الصغيرة والمواضيع التي يلفت الانتباه لها
- إن الوضعية المحدثة تخلط بشكل واضح مسألة العلاقة بين الموضوع التجريبي والتصميم المنهجي من جهة وبين مسألة العلاقة بين الحسي والعقلي في المعرفة السوسيولوجية من جهة أخرى.
- البحث التجريبي حصرا يتركز في صورة المعرفة الحسية وبالتالي تطرد كل حالات التحليل والتنوير النظري للباحث.
- إن الوضعية المحدثة ترفع البحث التجريبي واليقين الحسي لدرجة المطلق[٧]

---

[٤] مصطفى بوجلال: علم الاجتماع المعاصر بين الاتجاهات والنظريات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ٢٠١٥، ص١٠٧

[٥] سعد مرسي بدر: الإيديولوجيا ونظرية التنظيم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٨، ص٢٣٠

[٦] جان ديفينيو: مدخل إلى علم الاجتماع، ترجمة فاروق الحميد، دار الفرقد، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠١١، ص٢٠

[٧] نبيل السمالوطي: الأيديولوجيا وأزمة علم الاجتماع المعاصر دراسة تحليلية للمشكلات النظرية والمنهجية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ١٩٧٥، ص١٤٠

- إن مقولة الوضعية الجديدة الذاهبة إلى أن كل قول لا يمكن التحقق منه تجريبيا هو قول خاطئ على أن مثل هذا الموقف يعني إنكار دلالة الممارسة الاجتماعية وهذا ما يدل على اعتبار النظرية السوسيولوجية كما لو كانت شيئا خارجا على البحث السوسيولوجي الأمر الذي دفع بجونار ميردال إلى القول بأن النظرية تستعمل هنا كما لو كانت صندوقا خاويا يملأ بمادة تجريبية.
- إنها ضد الابداع لاعتمادها على اجراءات منهجية محددة توصل لنتائج محددة.
- ابتعدت عن عالم الذاتية وعدته عدوا للعلم.